الخاتميه فی الکتاب و السنه
و العقل الصریح

الخاتمیهٔ فی الکتاب و السنهٔ و العقل الصریح

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعهٔ:

دفتر آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

المجال من المآثر لطال موقفنا مع القراء و لذلك نقتصر على اثنتى عشرة رواية مع أن المأثور يتجاوز المائة.

الخاتمية فى الأحاديث النبوية

اشاره

لقد حصحص الحق بما أوردناه من النصوص القرآنية و انكشف الريب عن محيا الواقع فلم تبق لمجادل شبهة فى أن الرسول فى الذكر الحكيم خاتم النبيين و شريعته خاتمة الشرائع و كتابه خاتم الكتب.و قد وردت الخاتمية على لسان النبى الأكرم،نذكر منها ما يأتى: ١ـ خرج رسول الله صلى الله عليه و آله من المدينة إلى غزوة تبوك و خرج الناس معه فقال على عليه السلام: أخرج معك؟فقال: لا،فبكى على فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من‌موسى إلا أنه لا نبى بعدى أو ليس بعدى نبى و لا ينبغى أن أذهب إلا و أنت خليفتى».و الحديث على لسان المحدثين حديث المنزلة لأن النبى نزل فيه نفسه منزلة موسى و نزل عليا مكان هارون،أخرجه البخارى فى صحيحه فى غزوة تبوك،و مسلم فى صحيحه فى باب فضائل على عليه السلام،و ابن ماجة فى سننه فى باب فضائل أصحاب النبى،و الحاكم فى مستدركه فى مناقب على عليه السلام و إمام الحنابلة فى مسنده بطرق كثيرة [۵] .و وضوح دلالة الحديث على الخاتمية بمكان أغنانا عن البحث حولها.٢ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «مثلى و مثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها و أكملها إلا موضع لبنة»فجعل الناس يدخلونها و يتعجبون منها و يقولون لو لا موضع هذه اللبنة،قال رسول الله: «فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء».أخرجه البخارى و مسلم و الترمذى [۶] .٣ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «لى خمسة أسماء: أنا محمد،و أحمد،أنا الماحى يمحو الله بى الكفر،و أنا الحاشر،يحشر الناس على قدمى،و أنا العاقب الذى ليس بعده نبى» [٧] .۴ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «أنا قائد المرسلين و لا فخر،و أنا خاتم النبيين و لا فخر،و أنا أول شافع و مشفع و لا فخر» [٨] .۵ـ قال النبى صلى الله عليه و آله: يا على أخصمك بالنبوة فلاـ نبوة بعدى و تخصم الناس بسبع و لاـ يجاحدك فيها أحد من قريش،أنت أولهم إيمانا بالله» [٩] .۶ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إن الرسالة و النبوة قد انقطعت و لاـ رسول بعدى و لا نبى»قال: فشق ذلك على الناس فقال: «و لكن المبشرات»فقالوا: يا رسول الله و ما المبشرات؟فقال: «رؤيا المسلم و هى جزء من أجزاء النبوة» [١٠] .٧ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «ارسلت إلى الناس كافة و بى ختم النبيون» [١١] .٨ـ قال النبى صلى الله عليه و آله: «كنت أول الناس فى الخلق و آخرهم فى البعث» [١٢] .٩ـ استأذن العباس بن عبد المطلب النبى فى الهجرة فقال له: «يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه فإن الله تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة»ثم هاجر إلى النبى و شهد معه فتح مكة و انقطعت الهجرة [١٣] .١٠ـ قال صلى الله عليه و آله: «يكون فى امتى ثلاثون كذابا،كلهم يزعم أنه نبى و أنا خاتم النبيين،لا نبى بعدى» [١۴] .١١ـ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «فضلت بست: اعطيت جوامع الكلم،و نصرت بالرعب،و أحلت لى الغنائم،و جعلت لى الأرض مسجدا و طهورا،و ارسلت إلى الخلق كافة و ختم بى النبيون» [١۵] .١٢ـ روى الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن النبى صلى الله عليه و آله أنه قال: قال النبى صلى الله عليه و آله: «يا أيها الناس إنه لا نبى بعدى و لا سنة بعد سنتى،فمن ادعى ذلك فدعواه و بدعته فى النار فاقتلوه و من تبعه فانه فى‌النار» [١۶] .

الخاتمية فى أحاديث العترة الطاهرة

قد روى عن النبى الأكرم صلى الله عليه و آله أحاديث اخر فى مجال كونه خاتما غير أن ذكر الجميع غير ميسور لنا،و اردف البحث بما روى عن عترته الطاهرة عليهم السلام فى هذا المجال،و نقتصر على القليل من الكثير،فإن المروى عنه فى ذلك المجال متوفر جدا.١ـ قال الإمام على عليه السلام: إلى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله لإنجاز عدته و إتمام نبوته،مأخوذا على النبيين

الخاتمية في الذكر الحكيم

اتفقت الأمة الإسلامية-عن بكرة أبيها-على أن نبيهم محمدا خاتم النبيين،و أن دينه خاتم الأديان،و كتابه خاتم الكتب و الصحف،فهو صلى الله عليه و آله آخر السفراء الإلهيين،أوصد به باب الرسالة و النبوة،و ختمت به رسالة السماء إلى الأرض.لقد اتفق المسلمون كافة على أن دين نبيهم،دين الله الأبدى،و كتابه،كتاب الله الخالد و دستوره الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و قد أنهى الله إليه كل تشريع و أودع فيه أصول كل رقى،و أناط به كل سعادة و رخاء،فاكتملت بدينه و كتابه الشرائع السماوية التى هى رسالة السماء إلى الأرض.توضيحه: أن الشريعة الإلهية الحقة التى أنزلها الله تعالى إلى أول سفرائه لا تفترق جوهرا عما أنزله على آخرهم،بل كانت الشريعة السماوية فى بدء أمرها كنواة قابلة للنمو و النشوء،فأخذت تنمو و تستكمل عبر القرون و الأجيال،حسب تطور الزمان و تكامل الأمم،و تسرب الحصافة إلى عقولهم،و تسلل الحضارة إلى حياتهم.و يفصح عما ذكرنا قوله سبحانه: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا... (الشورى/۱۳) فقد وصى نبينا محمدا بما وصى به نوحا،من توحيده سبحانه و تنزيهه عن الشرك،و الدعوة إلى مكارم الأخلاق و التنديد بالجرائم الخلقية،و القضاء على أسبابها،إلى غير ذلك مما تجده فى صحف الأولين و الآخرين.و تتجلى تلك الحقيقة الناصعة،أى وحدة الشرائع السماوية،جوهرا من مختلف الآيات فى شتى المواضع،قال سبحانه: إن الدين عند الله الإسلام و ما اختلف الذين أتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم (آل عمران/۱۹) و ظاهر الآية يعطى أن الدين عند الله-لم يزل و لن يزال-هو الإسلام فى طول القرون و الأجيال،و يعاضدها قوله تعالى: و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه (آل عمران/۸۵).و قال سبحانه فى مورد آخر مخطئا مزعمة اليهود و النصارى فى رمى بطل التوحيد-إبراهيم باليهودية و النصرانية قال: و ما كان إبراهيم يهوديا و لا-نصرانيا و لكن كان حنيفا مسلما و ما كان من المشركين (آل عمران/۶۷).فحقيقة الشرائع السماوية فى جميع الأدوار و الأجيال كانت أمرا واحدا و هو التسليم فى فرائضه و عزائمه وحده.و لأجل ذلك كتب الرسول إلى قيصر عند ما دعاه إلى الإسلام،قوله سبحانه: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله،فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون [۱] .و قد أمر سبحانه فى آية أخرى رسوله بدعوة معشر اليهود أو الناس جميعا إلى اتباع ملة إبراهيم قال سبحانه: فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا و ما كان من المشركين (آل عمران/۹۵).و صرح سبحانه بأن كل نبى جاء عقب نبى آخر،كان يصرح بأنه مصدق بوجود النبى المتقدم عليه و كتابه و دينه،فالمسيح مصدق لما بين يديه من التوراة و محمد صلى الله عليه و آله مصدق لما بين يديه من الكتب و كتابه مهيمن عليه،كما قال سبحانه: و قفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة، و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه (المائدة/۴۸،۴۶).و هذه النصوص كلها تعبر عن وحدة أصول الشرائع و جذورها و لبابها.و على هذه فرسالة السماء إلى الأرض،رسالة واحدة فى الحقيقة مقولة بالتشكيك،متكاملة عبر القرون جاء بها الرسل طوال الأجيال و كلهم يحملون إلى المجتمع البشرى رسالة واحدة لتصعد بهم إلى مدارج الكمال،و تهديهم إلى معالم الهداية و مكارم الأخلاق.نعم كان البشر فى أوليات حياتهم يعيشون فى غاية البساطة و السذاجة،فما كانت لهم دولة تسوسهم،و لا مجتمع يخدمهم و لا ذرائع تربطهم،و كانت أواصر الوحدة و وشائج الارتباط بينهم ضعيفة جدا،فلأجل ذاك القصور فى العقل،و قلة التقدم،و ضعف الرقى،كانت تعاليم أنبيائهم،و الأحكام المشروعة لهم،طفيفة فى غاية البساطة،فلما أخذت الإنسانية بالتقدم و الرقى،و كثرت المسائل يوما فيوما،اتسع نطاق الشريعة و اكتملت الأحكام تلو هذه الأحوال و التطورات.فهذه الشرائع (مع اختلافها فى بعض الفروع و الأحكام نظرا إلى الأحوال الأممية و الشؤون الجغرافية) لا تختلف فى أصولها و لبابها،بل كلها تهدف إلى أمر واحد،و تسوق المجتمع إلى هدف مفرد،و الاختلاف إنما هو فى الشريعة و المنهاج لا فى المقاصد و الغايات كما قال سبحانه: لكل جعلنا منكم شرعة و منهاجا و لو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات (المائدة/۴۸) [۲] .و قال سبحانه: ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (الجاثية/۱۸).و